قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

# فلسفة غوستاف لوبون السياسية والتاريخية وأبعادها السيكولوجية

# *The political and historical philosophy of Gustave Le Bon, and its psychological dimensions*

محند شريف منصر [1] *
[1] جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- الجزائر.

**Key words:**
*Unconscious*
*Mental contagion*
*The crowd*
*Suggestion*
*Rational logic*
*Vulgar logic.*

**Abstract**

Summary: According to Gustave Le Bon, psychology of individual crowd differs from the psychology of individual isolated. The soul of the crowd is, by nature, unconscious. The crowd can only be convinced by the pictures (Images); it only thinks by pictures, it can't understand the rational and the conceptual thought. The images must be generated using the help of vulgar logic. As for the rational logic, it is the mode of thought of the isolated individual who works in solitude. In the history of civilization, there is a struggle between reason and unconscious; that is why the course of history is slow. Our objective is to know the psychic and social state of Europe at the age of Le Bon, as the current state of the Muslim world. We studied this subject based on psychoanalyses . So in this article, we followed the analytical and comparative method, to make understanding the ideas of LeBon and make them simplified. According to Le Bon the progression of civilization is a business of the individual isolated, the state plays only a secondary role in the process of progress. Le Bon believed that he has established scientific bases for a philosophy of history.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال : 2020-11-08
القبول : 2020-12-03

**الكلمات المفتاحية:**
اللاشعور
العدوى الذهنية
الجمهور
الإيحاء
المنطق العقلاني
المنطق الساذج.

**ملخص**

في نظر غوستاف لوبون، تختلف سيكولوجيا الفرد في الجمهور عن سيكولوجيا الفرد المنعزل. نفسية الجمهور هي، بالطبيعة، لاشعورية. لا يمكن التأثير في الجمهور إلا بالخيالات، لأنه لا يفكر إلا بالخيالات؛ لا يفهم بالتالي الفكر العقلاني والمفهومي. الخيالات لا بد أن تكون مثارة بالاستعانة بالمنطق الساذج.أما المنطق العقلاني فهو نمط تفكير الإنسان المنفرد الذي يعمل في عزلة. في تاريخ الحضارة هناك صراع بين العقل واللاشعور؛ لذلك كان مجرى التاريخ بطيئا. الهدف من هذا المقال، معرفة أحوال أوروبا النفسية والاجتماعية في الحقبة الأخيرة للقرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، رغبة منا أن نسقط هذه الأحوال على واقعنا الإسلامي اليوم. في معالجة هذا الموضوع اعتمدنا على فرويد و يونغ. إتبعنا في هذا المقال المنهج التحليلي المقارن من أجل تبسيط أفكار لوبون. توصلنا إلى نتيجة أن لوبون كان في وقته شاهدا على تحطيم مكتسبات عصر التنوير، بفعل استفحال النفسيات الجماعية. في نظر لوبون، ارتقاء الحضارات هي من فعل الأفراد الخواص الذين يشتغلون في عزلة. الارتقائية السيكولوجية تبدأ في الأفراد الخواص ولا تبدأ بالمجتمع، فيجب أن يكون المجتمع تابعا للفرد. أخيرا، اعتقد لوبون أنه أقام أسسا علمية وسيكولوجية لفلسفة تاريخ. فلسفة تاريخ خالية من الأبعاد الانطولوجية والميتافيزيقية والغائية. تصور لوبون محركا للتاريخ، لكنه لم يتصور قصدية للتاريخ لسبب تشاؤمه.

* Corresponding author at:University Mouloud Mammeri of Tizi ouzou - ALGERIA
Email : mancermohandcherif@yahoo.fr

## مقدمة

يعد المؤلف المبدئي للسيكولوجي الفرنسي **غوستاف لوبون** **(Gustave le Bon)**، والموسوم بسيكولوجيا الجماهير، الذي ألفه عام 1895، بمثابة مخطط إجمالي للسيكولوجيا الجماعية التي طورها في مؤلفات أخرى مثل فلسفة التاريخ، والآراء والمعتقدات، والسنن النفسية لتقدم الأمم...الخ. والذي علق عليه فرويد وطبق عليه نظرية التحليل النفسي. تكمن أهمية أراء لوبون في حقل فلسفة التاريخ في تأكيده أن اللاشعور، المكتسب أو الموروث، هو العامل الرئيسي الذي يوجه التاريخ السياسي، والاجتماعي، والأخلاقي والديني للحضارات، أما العقل (أو الشعور أو الذكاء) فينحصر دوره في تقدم العلوم والفلسفة والصناعة. وبهذا يكون التاريخ الكلي للأمم بطيئا في تطوره نتيجة لصراع العقل واللاشعور، أي صراع المعقول واللامعقول.

كان لوبون شاهدا على هذا الصراع بين المعقول واللامعقول الذي طفا على السطح من جديد في عصره، وشكل أزمة متعددة الأبعاد كانت نتيجة لتحطم المعتقدات القديمة، وعدم وجود بديل فعال يمكنه احتواء الفراغ الذي خلفته تلك المعتقدات. ومن خلال مؤلفاته اسقط صفات أزمة الحداثة هذه على المسار التاريخي للأمم، ومن هنا يبدو أنه فهم الماضي التاريخي من خلال أحداث عصره.

في البدء طرح لوبون الإشكالية الآتية: « يمثل العهد الحالي إحدى اللحظات الحاسمة للفكر الإنساني الذي ينساب نحو التحول. لاحظنا عاملين أساسيين كانا هما الأساس لهذا التحول، يتمثل العامل الأول في تحطيم المعتقدات الدينية، السياسية والاجتماعية التي انبثقت منها حضارتنا. ويتمثل العامل الثاني في خلق ظروف جديدة وفكر جديد كل الجدة، وفي ما نشأ عن الاكتشافات الحديثة للعلم والصناعة. أصبحت أفكار الماضي مزعزعة فعلا، ولكنها ما تزال مؤثرة بقوتها، ولم تكن الأفكار التي من المفروض أن تحل محلها إلا في طريق التكون. يمثل العصر الحديث حقبة زمنية للانتقال والفوضى» (**LeBon**، 1963، **صفحة** 2). هكذا وصف لوبون باختصار أزمة عصره الذي تأثر به وعبر عنه في إطار السيكولوجيا الجماعية. نجد في هذه الإشكالية تعبيرا عن نوع من ازدواجية العواطف Ambivalence الفردية والجماعية. الأهم من كل هذا هو أن لوبون كما سنرى كان شاهدا على تحطيم مكتسبات عصر التنوير، بتراجع استقلالية الوعي الفردي والعودة إلى سيطرة الجماهير. وهذا بفعل استفحال التنظيمات الشيوعية والتنظيمات الفاشية التي تعتمد على النفسية الجماعية اللاشعورية. ما لاحظناه في مؤلف لوبون هو إسقاطه لنمط حياة وسياسة عصره على كل تاريخ الحضارة.

رأى لوبون أن اللاشعور هو الذي يهيمن على المسار التاريخي ولا يلعب العقل أو الشعور إلا دورا ثانويا. لكن اللاشعور دائما يقود المجتمعات والشعوب نحو النكوص أو الركود، ولا يحدث الارتقاء إلا بالعقل الذي هو ميزة الأفراد الخواص، إذا كان هذا هو حال الحركة التاريخية فكيف يحدث و / أو يحدث الارتقاء في الحضارة؟

### 1.اللاشعور

يعتبر غوستاف لوبون فيلسوف تاريخ وحضارة، ومثل سابقيه من فلاسفة التاريخ، لم يفصل بين التاريخ والسيكولوجيا. واعتقد بأنه وضع أسسا علمية لفلسفة تاريخ جديدة، إذ جرد فلسفة التاريخ من كل اعتبار أنطولوجي، ميتافيزيقي أو غائي. ما ينفرد به لوبون هو كونه أدخل عنصر اللاشعور إلى حقل التحليل التاريخي، اللاشعور الذي اهتم به له طابع جماعي في الغالب، ولم يهتم باللاشعور المكبوت الشخصي إلا نادرا. قال لوبون: « والأحاسيس لا تنفذ إلى دائرة الشعور إلا بعد أن تنضج في منطقة اللاشعور نضجا آليا، وبما أن الحوادث العقلية الشعورية أسهل إدراكا فإن علم النفس الحديث دل– مستعينا بطرق صحيحة غير مباشرة – على أن الحوادث اللاشعورية تمثل في الحياة دورا هو في الغالب أهم من الدور الذي تمثله الحوادث العقلية» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 38). ثم أضاف: «معظم اللاشعور موروث عن الأسلاف، وما قوته إلا بكونه يمثل ميراث سلسلة طويلة من القرون التي زاد كل منها فيها شيئا، وقد أصبح شأنه الذي أغفل في الماضي من الأهمية بحيث أن بعض الفلاسفة، وعلى الخصوص وليام جيمس وبرغسون أخذوا يفسرون أكثر الحوادث النفسية به. وبتأثير هؤلاء الفلاسفة ظهرت في العالم حركة ضد المذهب العقلي» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 38). في هاتين الفقرتين، تحدث الكاتب عن اللاشعور بصفة عامة، وقد اهتم باللاشعور، بحصر المعنى، سبينوزا وشوبنهاور ونتشه قبل برغسون وجيمس وفرويد، واهتم به أيضا بصفة ضمنية الفلاسفة القدامى أمثال أفلاطون وابن خلدون.

لاحظ سيغموند فرويد فرقا بين لاشعور التحليل النفسي واللاشعور الذي اهتم به لوبون إذ قال فرويد في هذا الصدد: «هناك بعض الاختلاف بين تصور لوبون وتصور التحليل النفسي، مفهومه للاشعور لا يتطابق كلية مع اللاشعور الذي اعتمده التحليل النفسي. يحتوي لاشعور لوبون قبل كل شيء على الطبائع الأكثر عمقا في نفسية العرق، التي بحقيقة القول لا تدخل في صف حسبان التحليل النفسي الفردي. بالتأكيد لا ننفي أن نواة الأنا (الهو كما سميتها فيما بعد) التي تنتمي إليها الوراثة القديمة للنفس الإنسانية لا تكون إلا لاشعورية. لكن خارج هذا اللاشعور نميز "المكبوت اللاشعوري" الذي ينشأ من جزء هذه الوراثة، عنصر الكبت غائب عند لوبون» **(Freud S.، Psychologie des foules et analyse du moi، 2012**، صفحة 27**)**. تحمل سيكولوجيا لوبون طابعا اجتماعيا، وليس لها طابعا تيرابيا (علاجيا) يهتم بالمصاب الفرد، فمن العادي أن تبحث في الطابع الجماعي للاشعور. لكن هذا لا يعني أن لوبون أهمل الجانب الكبتي من اللاشعور بل أشار

إليه في الفقرة الآتية: «ومما كشفه هذا العلم: كون اللاشعور الموروث أو المكتسب، يعين عوامل السير غالبا...» (**لوبون**، **فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 11). اللاشعور الموروث هو اللاشعور الجماعي، اللاشعور المكتسب هو اللاشعور المكبوت. لا ندري إذا أدرك لوبون المحتوى السيكولوجي للكبت كما هو في التحليل النفسي. لكن ما يهم هو أن فكرة الكبت الجماعي حاضرة في سيكولوجيته. اللاشعور الجماعي باحتوائه الكلي والثقافي أكثر اتساعا من اللاشعور الفردي. بينما كان اللاشعور بالمعنى الجماعي الكلي غائبا في فكر لوبون. اللاشعور الجماعي عند لوبون له طابع ثقافي_قومي، ولا أكثر. ويعتبر لوبون كذلك أن اللاشعور هو الشيء الذي يميز الأقوام والأمم، حيث قال: «ويعد اللاشعور في معظمه بقية موروثة عن الأسلاف، وتقوم قوته على كونه يمثل تراثا لسلسلة طويلة من الأجيال يضيف كل واحد منها شيئا إليه» (**لوبون**، **فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 171). هناك إذن تراكم في اللاشعور ولا يحدث هذا التراكم إلا بالكبت، أي الكبت الجماعي الخاص بكل قوم، بمعنى أن لكل قوم خصوصياته اللاشعورية.

عرض لوبون ثلاثة أشكال من اللاشعور: اللاشعور العضوي المتصل بالنسق العصبي، واللاشعور العاطفي المتصل بالنفس واللاشعور الذهني، حيث قال: «هناك اللاشعور العضوي واللاشعور العاطفي، وعلى رأس تلك السلسلة، ولما كان ظهوره على مسرح الكون حديثا؛ فإن جذور الوراثة ليست سائغة فيه كما يجب. ومع أن أمر اللاشعور العضوي واللاشعور العاطفي قد أصبحا من الثبات بحيث تنشأ منه غرائز تنتقل بالإرث؛ نرى أن اللاشعور الذهني لا يزال على شكل أهواء وأغراض، والتربية هي التي تندرج به إلى الكمال في كل جيل» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 40). اللاشعور العاطفي واللاشعور العضوي موروثان، بينما ينتج دائما اللاشعور الذهني، المتصل بالفهم، عن الكبت، ثم يصبح مع مرور الزمن وراثيا.

توصلنا إلى نتيجة أن لوبون لم يهتم باللاشعور إلا بعلاقته بالجماهير لأن «الجماهير حسب دراسة طبائعها الأساسية مقادة تقريبا بصفة قطعية بواسطة اللاشعور» (**LeBon**، 1963، **صفحة** 17). اللاشعور قائد الجماهير، هل بالتالي أهمل لوبون عنصر الشعور الجماعي الذي اهتم به يونغ إلى جانب اللاشعور الجماعي؟ لا بد أن تكون هناك مثل عليا يؤمن بها الجمهور بصفة شعورية؛ والمثل العليا هي في أغلب الأحيان وهم أو مجموعة من الأوهام السياسية أو الدينية أو الإيديولوجية. لكن لا تكون هذه المثل العليا ذات تأثير قوي إلا لما تصبح لاشعورية، أي لما تينع في اللاشعور الجماعي. قال لوبون: « مهما تكن العوامل الأولى لتطور الأمة، سياسية كانت أم دينية أم اقتصادية أو غيرها، لا تؤثر تأثيرا عميقا إلا بعد أن تتحول إلى عادات لاشعورية إذ يعود البرهان لا يؤثر فيها» (**لوبون**، **فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 39). من جهة نظر الدين تعني فكرة لوبون هذه أن الخلف أكثر إيمانا من السلف الذين عاشوا الحدث الديني؛ لأن الإيمان لدى الخلف أينع في منطقة اللاشعور التي تستعصي على كل برهان عقلي، بعد أن كان هذا الأيمان مثلا أعلى شعوريا عند السلف، والسلف، إذا طبقنا مذهب لوبون، لم يتخلص من عاداته القديمة اللاشعورية، لأن التخلص من هذه العادات يتطلب زمنا طويلا. واللاشعور هو الذي يؤدي إلى تشويه الأديان بانتقالها من قوم إلى قوم آخر. «إن البرهمية والبوذية والمسيحية والإسلام أديان أدت إلى إعتناقات ظاهرة لدى عروق بإسرها . غير أن هذه الأديان تحولت كثيرا بانتقالها من قوم إلى آخر، فلما انتقلت البوذية إلى الصين شوهت بسرعة، والإسلام في فارس غيره في بلاد العرب أو الهند» (**لوبون**، **فلسفة التاريخ**، 2012)، وكذلك هناك فرق كبير جدا بين المسيحية الأصلية الآرامية والمسيحية الرومانية.

كما سبق أن قلنا، لا يعتبر لوبون اللاشعور إرثا للإنسانية بل يعتبره إرثا قوميا، لأن الأقوام تختلف باللاشعور، فالثورة دينية كانت أم سياسية لا تغير إلا المظاهر لا تستطيع أن تؤثر في اللاشعور الذي يقود الجماهير، وهذا بين في قوله:« ويقع كل يوم تصادم بين الشعور الذي يهيمن عليه العقل وبين المحرضات التي لا تأثير للعقل فيها، وما تأتى به الأمم من ثورات عنيفة لتتخلص بها من نير الماضي الثقيل فذو تأثير غير دائم، لأن الثورات وإن أمكنها أن تهدم الأشياء وتخربها فإنها لا تبدل النفوس إلا قليلا، وعلى هذا نرى أن آراء فرنسا القديمة ومعتقداتها ذات تأثير عظيم في فرنسا الحديثة ومع ما وقع فيها من تغيير ففي المظاهر فقط.» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 141). بالتالي لا تستطيع الأفكار الثورية أن تنفذ إلى أعماق النفسية الجماعية التي هي لاشعورية. الثورات الأصيلة هي فقط الثورات العلمية، لأن الذكاء لا يتحكم فيه اللاشعور. (سنعود إلى هذا الموضوع). " ثم أضاف لوبون في الموضع نفسه: «ولذلك نعد من الخطأ والجهل بطبيعة المعتقد اعتبار ثورة الإصلاح الديني رمزا لانتصار حرية الفكر، فقد كان البروتستانت في أول الأمر أشد من الكاثوليك تعصبا، وما أتى لوثر وخلفاؤه إلا بمبادئ جامدة مجردة من الحكمة مشبعة من روح التعصب الذميم» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 205). حسب قراءتنا لأعمال كارل غوستاف يونغ، التي تعد حلولا لمشاكل أزمة الحداثة التي عبر عنها صاحب سيكولوجيا الجماهير، استنتجتا أن لوبون كان مصيبا لما اعتبر سيطرة الجماهير انتصارا كليا للاشعور الجماعي وعودة للمكبوت البربري من جديد. الآن ننتقل إلى رسم نفسية الجماهير عند لوبون.

### 2. الفرد في الجمهور

اعتبر لوبون السيكولوجيا الجماعية مختلفة اختلافا جوهريا عن السيكولوجيا الفردية، بما أن نفسية الفرد في الجمهور تختلف عن نفسية الفرد المنعزل، بل أكد أن الفرد المنصهر في الجمهور قد يكون نقيض الفرد المنعزل من حيث الأحاسيس والمشاعر والأفعال. قال: « أثبتنا في هذا الكتاب أن سيكولوجيا الناس داخل الجمهور تختلف بصفة جوهرية عن السيكولوجية

الفردية. وأن الذكاء ليس بمنأى عن هذا الاختلاف. قد رأينا أن داخل الجماهير لا يلعب الذكاء أي دور. الإحساسات اللاشعورية هي فقط القادرة على التأثير» (LeBon، 1963، **صفحة** 94). في النفس الجماعية،تضمحل القدرات الفكرية للناس وكذلك فردانيتهم، الصفات اللاشعورية تهيمن، المتنافر يغرق في المتجانس (LeBon، 1963، **صفحة** 13). الفرد المنعزل قد يعتمد على الحيطة والحذر والذكاء والمنطق العقلاني، لما ينصهر في الجمهور لا يعتمد إلا على الغرائز والميول اللاشعورية. في الجمهور لا فرق بين الجاهل والمثقف. قال مؤلفنا: « قبل أن يكون قد فقد كل استقلاليته، تتغير أفكاره وأحاسيسه إلى حد القدرة على تحول البخيل إلى مبذر، الشكاك إلى مؤمن، الإنسان الصادق إلى مجرم، الجبان إلى بطل» (LeBon، 1963، **صفحة** 15)ذلك لأن الفرد في الجمهور لا يشعر بالمسؤولية على أفعاله ولا على الجرائم المرتكبة جماعيا الإحساس بالمسؤولية خاصية الفرد المنعزل وهناك صعوبة في إطلاق عبارة المسؤولية الجماعية.« في الجمهور، قال لوبون، الإحساس بالمسؤولية التي تردع دائما الأفراد تغيب تماما، الجمهور لامسؤول» (LeBon، 1963، **صفحة** 13) .

اعتمد لوبون في تحليله لنفسية الجمهور على اللاشعور، التنويم المغناطيسي والإيحاء المتبادل بين الأفراد، فوصف بالتالي الجمهور ككتيبة عسكرية في ساحة القتال. نعم الجمهور مستعد للحرب في كل وقت، وتطغى على أفراده الرغبة في التضحية التي هي نقيض طبيعة الفرد المنعزل. وهذه العناصر المتمثلة في اللاشعور، والتنويم المغناطيسي، والإيحاء المتبادل، هي التي تجعل الفرد في الجمهور عنيفا وشرسا مثل البطل في ساحة القتال. وفي هذا الصدد قال لوبون: « كثير من الطبائع الخاصة بالجماهير، مثل الاندفاع، التهيج، عدم القدرة على الاستدلال، غياب الحكم والروح النقدية، غلبة الأحاسيس وغير ذلك مما نلاحظه أيضا عند الكائنات التي تنتمي إلى الأشكال الدنيا من التطور مثل المتوحش والطفل» (LeBon، 1963، **صفحة** 17،16). لا يعرف الجمهور الاستدلال، ولا يعرف النقد والمنطق العقلاني.

في كل مؤلفاته، شبه لوبون الجمهور بالإنسان البربري، أو البدائي المتوحش، «لأن غرائز الضرامة الهدامة هي رواسب العصور البدائية التي ترقد في أعماق كل واحد منا. بالنسبة إلى الفرد المنعزل يكون إشباعها خطيرا جدا؛ بينما حالة امتصاصه من طرف الجمهور اللامسؤول تقدم له حصانة تضمن له حرية إتباعها» (LeBon، 1963، **صفحة** 29). ثم أضاف قائلا: «حاولوا إقناع الأرواح البدائية، المتوحشين والأطفال مثلا، بواسطة الاستدلال العقلي، سوف تعرفون جيدا القيمة الضعيفة التي يملكها هذا النوع من الحجاج (LeBon، 1963، **صفحة** 66). وصف لوبون عصره بعصر الجماهير، لأن «حالة الجمهور، هيمنة الجمهور، تشكلان البربرية أو العودة إلى البربرية» (LeBon، 1963، **صفحة** 74). هذه البربرية العائدة تتمثل في استفحال التيارات الشيوعية والتيارات الفاشية،

ويمكن أن نطلق على هذه البربرية الحديثة اسم البربرية الثالثة التي صادفت نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، لما كتب لوبون مؤلفاته

لقد سبق ل فيكو، قبل لوبون، أن أشار إلى فكرة عودة البربرية في العصور الوسطى والتي أطلق عليها اسم البربرية الثانية مضاهية للبربرية الأولى التي سماها العصر البطولي. البربرية الثانية في نظر فيكو تخارجت وتموضعت في الحروب الصليبية؛ والصليب علمها البطولي. قال فيكو: «بالفعل في كل مكان تسود حالات العنف، حالات النهب، التقتيلات إلى أعلى نقطة من البربرية، وكما قيل، لا توجد هناك وسيلة أخرى ناجعة من أجل ردع الناس الطلقاء من كل القوانين الإنسانية إلا بالقوانين الإلهية التي علمها الدين» (Vico، 2001، **صفحة** 505). وتخارجت البربرية في عهد لوبون في الحربين العالميتين، وفي الحرب الثانية عبر عن البربرية العائدة بالصليب المعكوف النازي والمطرقة والمنجل البلشفي. (وقد اعتبر فيكو، من وجهة نظر السيكولوجيا الجماعية، كل الأعلام البطولية أو الرموز التي توضع على الرايات القومية تخارجا للعنف والبربرية). وقد شبه لوبون عصره بالعصور الوسطى المسيحية حيث قال: «إذن عقيدة سيادة الجماهير غير قابلة للدعم من وجهة نظر الفلسفة مثل العقائد الدينية في العصور الوسطى. لكنها تملك اليوم قوة مطلقة، هي إذن غير قابلة للتهجم والنقد تماما كما كانت في القديم الأفكار الدينية» (LeBon، 1963، **صفحة** 109). إلا أن هناك فرق بين تصور فيكو وتصور لوبون، ذلك لأن في نظر فيكو، الأبطال والنبلاء هم الذين سيطروا على الأمم في العصور الوسطى والقديمة وليست الجماهير. إنما سيطرة الجماهير في نظره تعبر عن بداية التحضر وبداية العصر الإنساني. بدا أن حجة لوبون في هذا المقام ضعيفة إذا قرأناها من زاوية الفيلسوف فيكو. أضاف لوبون: « والآن توجد أوروبا الحديثة في دور من أدوار التاريخ الحرجة المشابهة لأوائل المسيحية حيث أخذت الوثنية وهذا المعتقد الجديد في الاصطراع» (**لوبون، فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 106). يختلف هذان العلمان [فيكو ولوبون] في تقدير الأحوال الاجتماعية في فكرة عودة البربرية، إذ أن فيكو لم يشر إلى الصراع بين الوثنية القديمة والمسيحية الدخيلة إلا عن مضض واقتصر تحليله على أوروبا الصليبية، والحروب الصليبية، كعودة للمكبوت البربري، لكن لم تكن المسيحية مسؤولة، بأية حال من الأحوال، على عودة المكبوت البربري، إنما كانت المسيحية غير قادرة إلا على إنقاذ ما يمكن إنقاذه إذ خففت بقدر ضئيل البربرية العائدة، اعتبر ذلك العصر الوسيط البربري كإعادة لانبثاق الأمم من جديد بداية من البربرية. قال في هذا الصدد: «مبعثرة على طول هذا المؤلف، عدة مقاطع حول عدة مواضيع سمحت لنا أن نلاحظ وجود مطابقة رائعة بين العصور البربرية الأولى والعصور البربرية العائدة، حتى إننا نستطيع بكل سهولة أن نفهم معاودة الأشياء الإنسانية في انبثاق الأمم من جديد» (Vico، 2001، **صفحة** 509). تحدث فيكو في فلسفته التاريخية عن عودة

المكبوت البربري في العصور الوسطى، وقارن بين عودة المكبوت هذه والبربرية الأولى التي سماها العصر البطولي. بدا أن لوبون عين هذه العودة الجديدة للبربرية في العصر المعاصر. في عصر لوبون ظهر صراع، في مجال الفكر، بين تصورين عن العالم: التصور الليبرالي الذي سانده لوبون وهو ثمرة عصر التنوير؛ والتصور الماركسي الأخير الذي حل محل التصور اللاهوتي القديم. ويمكن أن نزيد إلى هذين التصورين تصورا ثالثا الذي هو التصور الفاشي، لأنه، مثل الشيوعية تماما، الفاشية تتوق دائما وحتما إلى جمهرة النفوس la massification des âmes في حين الفردنة أو الفردانية تقوم دائما على استقلالية الوعي الفردي، وهي ثمرة عصر التنوير. لم يشذ ك.غ. يونغ عن تصور فيكو وتصور لوبون بل بدا واضحا أكثر إذ قال: «نهاية هذه الجنة [البدائية] وكبت النفسية الجماعية شيء يسجل كضرورة لتطور في الشخصية» **(Jung، Les racines de la conscience، 1971، صفحة 48)**. بالنسبة إلى لوبون ويونغ، النفسية الجماعية اللاشعورية نكوص إلى العصور البربرية. بجمهرة النفوس لا يحصل أبدا الارتقاء، لأن الارتقاء يقوم دائما على الوعي الفردي. أضاف يونغ في هذا الصدد قائلا: «تعديل الشعور يبدأ في الفرد، وأنه لأمر قديم العهد الذي يتعلق جوهريا بمسألة معرفة إلى أي مدى تمتد قدرة تطور النفسية. اليوم نعرف فقط ، أنه في هذه اللحظة، لا يوجد إلا الأفراد المنعزلون الذين هم قادرون على التطور» **(Jung، Les racines de la conscience، 1971، صفحة 131)**. (نلاحظ جيدا أن تصور يونغ قريب من تصور لوبون ومخالف لتصور فيكو). هذا لا يعني طبعا أن الجماعات أو الجماهير لا تتطور، لكن أراد يونغ أن يبين أن تطور الجماعات مرهون بتطور الأفراد والعكس لا يحدث. لكن هناك فرق بين تصور يونغ وتصور لوبون، يونغ أطلق مفهوم الفردنة individuation التي تختلف عن الفردانية، وفي نظره الفردانية لا تختلف عن الأنانية، يونغ ليبيرالي معتدل، رأى أن مبدأ الفردنة يعزز أكثر العلاقات الاجتماعية. بينما لوبون كان يدافع عن الفردانية الليبيرالية المتطرفة.

يرى لوبون، مثل يونغ، أن هيمنة الجماهير هي مظهر من مظاهر النكوص إلى العصر البربري والبدائي ولا يعرف الارتقاء إلا الفرد المنعزل، لأن النفسية الجماعية التي في جزئها الأكبر لاشعورية هي التي ميزت العصور البربرية. في حين أن الارتقاء الحضاري يحصل بارتقاء القيم الفردية، وفي هذا السياق قال لوبون:«وقد أثبتت هذه المباحث كون آراء الجماعات خالية من مستند عقلي فالإنسان في الجمهور يرجع إلى همجية ما قبل التاريخ» (**لوبون، فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 121)، ثم أضاف أن: « الإنسان في الجماعة يهبط كثيرا في سلم الحضارة، وهو يصير من البرابرة، ويظهر ما يتصف به من عيوب ومحاسن أن يبدي عنفا خاطفا كما يبدي حماسة وبطولة» (**لوبون، فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 171). هذا الطرح دعمه فرويد في تعليقه عن ما صرح به لوبون، حيث قال: «إذا حكمنا بإنصاف على أخلاقية الجماهير، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الفعل أنه في تجمع الأفراد في جمهور، كل حالات الكف الفردية تسقط وأن كل الغرائز القاسية، الوحشية، الهدامة، رواسب العصور البدائية التي ترقد في كل فرد منهم تستيقظ وتجعل الإشباع الحر للغرائز ممكنا» **(Freud S.، Psychologie des foules et analyse du moi، 2012، صفحة 33)**. كما يرى لوبون أن في روح الجمهور لا وجود للمستحيل ولا لمبدأ عدم التناقض؛ لأن مبادئ العقل لا توجد إلا في ذهنية الفرد المنعزل، وبالتالي «الجماهير لا تقتنع بالأدلة بل بضروب التأكيد ويتوقف سلطان هذا التأكيد على نفوذ الشخص الذي يصدر عنه» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 107). هذا يعني أن الجمهور لا يعرف الحق إلا من خلال النفوذ والسلطة الروحية. بالإضافة إلى ما سبق، عزز لوبون فكرته هذه بقوله « يجب أن يذكر بين صفات الجماهير، سرعة تصديقها الذي لا حد له، وحساسيتها البالغة، وعدم تبصرها وعجزها عن التأثر بالبرهان، ويتألف من التأكيد والعدوى والتكرار والنفوذ وسائل وحيدة لإقناعها تقريبا، ويمكن أن يحمل الجمهور على تصديق كل شيء، فليس لديه شيء مستحيل» (**لوبون، فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 171) . هذا يعني أن الجماهير "تقتنع" ولكنها "لا تفهم". طبعا هناك فرق بين الإفهام la compréhension والإقناع la persuasion الأول تقوم عليه العلوم والفلسفة والثاني يقوم عليه الدين والسياسة. الأول سنده الحقيقة والاستدلال والثاني سنده الرأي والاعتقاد.

بخصوص التناقضات التي تتسم بها نفسية الجمهور، يرى لوبون أن « مهما كانت الأفكار الموجهة إلى الجماهير، لا يمكن أن تصبح مهيمنة إلا بشرط اكتسابها لشكل بسيط جدا وأن تكون متمثلة في فكرهم تحت مظهر الخيالات، دون أي رابط منطقي أو مماثلة أو تسلسل (....) يمكن إذن أن نرى في الجماهير تتابع الأفكار الأكثر تناقضا» (LeBon، 1963، **صفحة** 32). وفي تعليقه على فكرة لوبون هذه، قال فرويد: « بعض الميزات الخاصة الأخرى التي دفع بها لوبون تقذف ضوءا حيا على شرعية التناسب بين نفسية الجماهير ونفسية البدائيين. عند الجماهير، الأفكار الأكثر تعارضا تستطيع أن تتعايش وتتوافق فيما بينها دون أن يحصل صراع في تناقضها المنطقي. وهذا ما يحصل تماما في الحياة النفسية اللاشعورية للأفراد المنعزلين والأطفال والعصابيين، كما أثبت ذلك التحليل النفسي منذ مدة» **(Freud S.، Psychologie des foules et analyse du moi، 2012، صفحة 43)**. إذن اللاشعور، سواء كان فرديا أو جماعيا، لا يعرف مبدأ عدم التناقض وبما أن نفسية الجمهور لاشعورية فهي تقبل كل أنواع الأفكار الأكثر تناقضا. الجمهور إنسان بدائي مكبر أو طفل مكبر، عبر لوبون عن هذه الفكرة قائلا: «وإذا نظرنا إلى الطفل من الناحية الذهنية وجد أقرب إلى الأسلاف في العصر الحجري منه إلى آبائه الأدنين، ويظل ذكاؤه ابتدائيا زمنا طويلا، ولا تقوم معارفه في بدء الأمر على غير تسلسل غليظ؛ شأن معارف

الفطري» (**لوبون**، **فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 53)، وبهذا المنظور نفسه اعتبر فيكو، قبل لوبون وفرويد، البدائيين بمثابة أطفال الإنسانية.

وإذا اعتبر الماركسيون لوبون فيلسوفا رجعيا، فهو بدوره يرى في الشيوعية نكوصا خطيرا إلى العصر البدائي البربري. وقد عبر عن موقفه هذا في كتابه فلسفة التاريخ قائلا: «وتتجلى معلومات مثل ذلك الانحطاط لدى مختلف الأمم، ولاسيما المعاصرون: بالعودة من الحياة الفردية إلى الحياة الجماعية. والواقع أن الانتقال من حالة الهمج الفطريين إلى الحياة الفردية كان من تقدم البشرية. الحضارة تميل إلى الزوال إذا ما عاد الإنسان إلى الحالة الألبية، أي إذا ما خضع لعوامل العدد مقدارا فمقدارا، وتعد الاشتراكية والشيوعية – التي هي طورها الأخير – مظهرين خالصين لهذا الميل الرجعي» (**لوبون**، **فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 55).إذن العودة إلى الحياة الجماعية المتجمهرة، في نظر لوبون، سواء تعلق الأمر بالشيوعية أو بالفاشية، هي نكوص الإنسانية إلى العصور البربرية الهمجية حيث كان الشعور غير متطور لدى الإنسان، وبهذا المعنى كلما ارتقت الإنسانية تراجعت الجماعية وتقدمت الفردية. إن هذا الموقف الذي تبناه لوبون يجعلنا نؤكد مجانبة الصواب من طرف الذين يعتبرون لوبون فاشيا لمجرد حدث هامشي هو تبادله لمراسلات مع موسوليني، والحق أن لوبون هو فيلسوف الليبرالية السياسية والفردانية، ولم نجد في مؤلفاته أي ميل إلى الفاشية بالرغم من أنه طور أنتروبولجيا ثقافوية عكس الأنتروبولوجيا الإنسانوية التي طورها الرباعي: فيكو، داروين، فرويد ويونغ.

نجد عند يونغ سندا للموقف الذي عبر عنه لوبون في الفقرة أعلاه إذ قال: « مثال البدائيين يظهر بصفة مميزة، كم هو صحيح أن الأزواج من الأضداد هي محتواة في النفسية الجماعية (...) بالنسبة إلى البدائي الذي يكاد يكود فيه التمايز الفردي خطوة أولى، الملاحظتان المتناقضتان والمتعارضتان هما سواء صحيحتان، لأن نفسية البدائي هي بصفة جوهرية جماعية وفي جزئها الأكبر لاشعورية تماما (...) لا يبدأ الإحساس بالتناقض إلا في الوقت الذي يتأسس فيه التطور الشخصي للنفسية (...) مع هذه المعرفة الجديدة تنشأ معركة الكبت؛ نريد أن نكون طيبين، ولهذا علينا واجب كبت الشر؛ وفي هذا الحين تنتهي جنة النفسية الجماعية» (Jung، 2013، **صفحة** 47)، ثم أردف قائلا: «نهاية هذه الجنة وكبت النفسية الجماعية شيء يسجل كضرورة التطور في الشخصية» (Jung، 2013، **صفحة** 69). لكن يونغ اهتم أيضا بالشعور الجماعي الذي يؤسس للقوميات والاشتراكيات، وفي نظره، هذا الشعور الجماعي أخطر من اللاشعور الجماعي، ولهذا أسس فلسفته على مبدأ الفردنة التي تختلف عن الفردانية وتناقض الجمهرة. ونلاحظ هنا تقاربا بين موقف يونغ هذا مع موقف ماركس الذي يعتبر الشعور الجماعي حقيقة تأسيسية في تاريخ الشعوب، لأن الشعور في نظره قائم على العلاقات الاجتماعية، لكن الاختلاف الموجود بينهما يكمن في أن الشعور الجماعي هو مجردة لحظة من سيرورة الشعور التي تصل إلى ذروتها عند لحظة استقلالية الوعي الفردي وهو ما يؤدي إلى الفردنة، أما ماركس فيعتبر الشعور الفردي ناقصا وغير منتج، ويعتقد بأن الشعور الجماعي هو اللحظة النهائية المحررة للشعوب. وفي مقابلهما، يرى لوبون أن الشعور الجماعي لا وجود له أصلا، بل هو مجرد وهم ، وكل ما يوجد هناك هو الشعور الفردي الذي يعد دعامة البناء الحضاري .

## 3.فكر الجمهور

لننتقل الآن إلى ذهنية الجمهور. كيف يفكر الجمهور؟ أو هل الجمهور يفكر؟. يفكر الجمهور من خلال فكر كل واحد من أعضائه. فكر الفرد المنصهر في الجمهور له طبيعة خاصة ويختلف عن فكر الفرد الذي يتأمل في عزلة. والفرد المنعزل، في نظر لوبون، أرقى من الجمهور من الناحية الثقافية. يرى لوبون أن في كل الحالات تفكير الجمهور ساذج لكونه يعتمد على المنطق الساذج، فهو «مجرد من الروح النقدية، لا يمكن للجمهور إلا أن يظهر بسذاجة مبالغ فيها، بالنسبة إلى الجمهور المستحيل غير موجود، من أجل أن نفهم ذلك، يجب أن نتذكر جيدا السهولة التي بها تُخلق وتنتشر الحكايات الأكثر بطلانا» (LeBon، 1963، **صفحة** 19). مثل الطفل والنائم والبدائي، الجمهور مجرد من ملكة النقد والمنطق العقلاني، لا يملك إلا ملكة التقليد والمحاكاة وملكة التخيل اللتان هما فطريتان في الإنسان.

لا يعرف الجمهور التفكير بالمفاهيم والأفكار المجردة، «بل يفكر [الجمهور] بالخيالات Images والخيال يستدعي بدوره مجموعة من الخيالات الأخرى دون وجود رابط منطقي بينها» (LeBon، 1963، **صفحة** 20). لقد أشار فيكو من قبل أن التفكير بالخيالات، كان طابعا مأثورا في الميثولوجيات القديمة والشعر القديم، فالشعراء القدامى لا يجردون الأشياء من صفاتها العينية الظاهرة، كل ما يتخيلونه مشخص، ويعممون الحالات الخاصة. هذا ما طبقه لوبون في وصفه لذهنية الجماهير، بما أن التجمهر نكوص إلى الحالة البربرية. التخيل الساذج يؤدي بالجماهير إلى « التأليف بين أشياء متباينة، التي ليس بينها إلا علاقات ظاهرية، والتعميم الفوري للحالات الخاصة. تلك هي ميزة المنطق الجماعي. (...) تسلسل الاستدلالات الصارمة غير مفهومة تماما من طرف الجماهير، لذلك يجوز أن نحكم أن الجمهور لا يستدل أو يستدل خطأ، ولا يمكن إقناعه بواسطة الاستدلال. (...) لما يواجه الخطيب الجمهور يعرف كيف يثير فيهم الخيالات من أجل إغرائهم» (LeBon، 1963، **صفحة** 35). إذن يواجه الخطيب جمهوره كأنه يواجه الأطفال أو البرابرة، وهذه الطريقة كثر ما نجدها عند رجال الدين. شبه لوبون الجمهور بالإنسان النائم؛ لأن « حالة الجمهور هي تقريبا مثل حالة النائم الذي يكون عقله معلقا بصفة مؤقتة؛ يترك

الخيالات تظهر ثم يدركها عند ملامسته للواقع» (LeBon، 1963، **صفحة** 35). وقد أثبت فرويد حالة النائم هذه في تأويل الأحلام حيث قال: « ما هو ميزة حالة اليقظة (...) هو أن النشاط الفكري يجري بواسطة المفاهيم وليس بواسطة الخيالات، بيد أن الحلم يفكر بصفة مبدئية بواسطة الخيالات» (.Freud S، 2010، **صفحة** 84).

رأينا أن ما قاله لوبون عن فكر الجمهور لا يختلف عما قاله فرويد عن فكر الأحلام؛ المفاهيم، الأفكار المجردة التي هي ثمار التربية والتثقيف تطفوا دائما على سطح الشعور والعقل لا تستطيع أن تنفذ إلى الطبقات العميقة للاشعور فهي غائبة تماما في الأحلام وفي فكر الجمهور. الجمهور أيضا، مثل الحالم، يهلوس بما أن الأفراد داخل الجمهور، بفعل مسار الإيحاء المتبادل، لا يرون الأشياء كما كانت في الواقع؛ لأن «لا تستطيع الجماهير أن تفكر إلا بالخيالات، ولا نقبل أي انطباع إلا بواسطة الخيالات، هذه الخيالات فقط هي التي تغويها وترهبها وتصبح بالتالي محركات للقيام بالأفعال» (LeBon، 1963، **صفحة** 36).

## 4.منطق الجمهور

إذا سلمنا بما أشار إليه لوبون سابقا، فلا بد أن يكون للجمهور منطق معين خاص يسير به وفقا لنمط تفكيره الذي يطغى عليه التخيل لكون منطق الجمهور منطق ساذج. في سيكولوجيته السياسية، لم يأخذ لوبون بعين الاعتبار المنطق المدني ولم يشر إليه إلا من زاوية النقد. نقصد بالمنطق المدني ذلك المنطق الذي طوره كل من أرسطو، هوبز، روسو، كانط وغيرهم. المنطق المدني (أو القياس المدني) عند أرسطو هو امتداد للقياس العملي (الإتيقا)، وهذا الأخير تابع للمنطق الصوري الأنطولوجي. لا نجد عند صاحب الأعمال المفهومية الكبرى تناقضا بين المنطق العقلاني والمنطق العملي والمنطق المدني. وهذا ما نجده أيضا عند هوبز، حيث كان نسقه في الفلسفة السياسية قائما على قاعدة منطقية عقلانية، وهذا لأن هوبز فصل بين المنطق والخطابة. كذلك الإرادة العامة عند روسو تعبر عن هذا المنطق المدني الذي تكون القوانين المدنية جزءا منه. وكان العقل العملي عند كانط بمثابة امتداد للعقل المجرد. إذن رأى هؤلاء الفلاسفة أن المنطق المدني والمنطق العملي تابعان للمنطق العقلاني. قال لوبون بخصوص هذا الاعتبار للمنطق ناقدا: «هناك فلاسفة عظام خلطوا مخطئين بين المنطق العاطفي بالمنطق العقلاني، فقد حاول كانط تشييد دعائم علم الأخلاق على أساس العقل مع أنه لا شأن للعقل في أكثر منابع الأخلاق» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 43). يعتمد الفلاسفة المذكورون على المنطق العقلاني ولا يعترفون بمنطق آخر سواه. بينما نجد عند لوبون تناقضا بين المنطق العقلاني والمنطق الساذج. الأول خاص بالفلاسفة والعلماء والثاني خاص بالسياسيين ورجال الدين والشعراء. وقبله ميز فيكو بين المنطق العلمي والمنطق الشعري (.Vico، 2001، **صفحة** 107).

ذكر لوبون ثلاثة أنواع من المنطق الساذج، وهي: المنطق الصوفي أو الديني، المنطق العاطفي والمنطق الجماعي. وقد وصف المؤلف هذه الأنواع في كتابه الآراء والمعتقدات ، حيث قال: « تبدو أوصاف المنطق العقلاني والمنطق العاطفي بالمقايسة بينهما، فالمنطق العقلاني يدير دائرة الشعور وأما المنطق العاطفي فإنه يستولي على دائرة اللاشعور. وبما أن سلطة المنطق العاطفي لاشعورية فإننا لا ندرك تطور أحاسيسنا إلا قليلا، فنحن نقود حياتنا العقلية ولكن لا سلطة لنا على حياتنا العاطفية» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 74). وبخصوص الفرق بين المنطق العاطفي والمنطق الديني، قال مؤلفنا: «والمنطق الديني يرضى – كالمنطق العاطفي بالمتناقضات – ولكنه ليس كالثاني لاشعوريا، وكثير ما يتضمن شيئا من التأمل والتفكير. وبالحركة التي هي مقياس المنطق يظهر لنا الفرق بين المنطق الديني والمنطق العاطفي ظهورا واضحا، فالمنطق الديني يسوق الإنسان إلى ما لا يسوقه إليه المنطق العاطفي من أعمال تناقض أكثر منافعه صراحة» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 79). حسب هذا التصريح، يعتبر لوبون المنطق الديني أكثر خطورة على الفرد من المنطق العاطفي، لأنه يقود الفرد إلى التضحية بنفسه استجابة لمثل أعلى معين. موقف لوبون يتوافق نسبيا مع موقف يونغ الذي قال: «التحليل المنطقي ميزة الشعور، ومن خلاله نتوصل إلى انتقاء موافق لعقلنا ومعارفنا. يبدو اللاشعور بالمقابل مقادا خاصة بواسطة الميول الغريزية الممثلة من طرف أشكال الفكر المطابقة – بمعنى بواسطة الأنماط المبدئية» (Jung ، 2013، **صفحة** 133). إلا أن يونغ ومعه فرويد لا يعترفان إلا بمنطق واحد وهو المنطق العقلاني. (أما المنطق الجماعي فنعبر عنه من خلال دراسة نمط تفكير الجماهير).

إذا كان الجمهور لا يقدر إلا على التخيل ومنطقه ساذج، فإنه بالتالي غير قادر على التصور والتجريد، ويجوز لنا أن نقول بنفس الاعتبار أنه غير قادر على تمثل المقولات المعقولة وغير قادر على تصور المعايير المثالية للحق والعدالة والحرية. هل بالتالي بإمكان الجمهور أن يكون ثوريا؟. في نظر لوبون، لا يمكن أن يكون إحساس الجمهور إلا دينيا، فعندما « نلاحظ عن قريب قناعات الجماهير، سواء تعلق الأمر في عصور الإيمان أو في الانتفاضات السياسية الكبرى، كالتي حدثت في القرون الحديثة، نتأكد أنها تقدم شكلا خاصا، الذي لا يمكن أن نطلق عليه إلا اسم الإحساس الديني» (LeBon، 1963، **صفحة** 38). من المعروف أن الإحساس الديني مضاد للإحساس الثوري بمعنى الارتقائي.

يحمل الدين في طياته تصورا شاملا ونهائيا عن العالم لا يقبل التجديد، وهذا ينطبق على كل الايديولوجيات؛ وفي هذا السياق قال لوبون: «والآلهة هم أبناء أحلامنا، تبلغ من السلطان ما يؤدي معه تغيير أسمائها وحده إلى قلب العالم من فوره رأسا على عقب» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 137). وأضاف: «وحينئذ تبدو روح التدين في هؤلاء على شكل إحدى الخرافات أو الأساطير، وكذلك نقول أن الملحد متدين كالتقي الورع وفي الغالب

يكون أشد منه» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 79). ولهذا السبب اعتبر لوبون وفرويد ويونغ وراسل وغيرهم الشيوعية ديانة جديدة لا تقل خطورة عن الديانات القديمة، وهذا ما عبر عنه يونغ بقوله: « لم تتغير آلهتنا المرعبة إلا بأسمائها، وتسميتها الجديدة لها قافية إيزمIsme هل لأحد يملك جبهة الادعاء أن الحرب العالمية والبلشفية، مع سلسلة كوارثهما، هي اكتشافات بارعة؟» (Jung، 2013، **صفحة** 184). في نظر لوبون، كما في نظر يونغ، لا تختلف الحالتان النفسية والاجتماعية الناجمتان عن التدين والإيديولوجيا، بل التعصب دائما له طابع ديني، «فعدم التسامح والتعصب يرادفان عادة الإحساس الديني» (LeBon، 1963، **صفحة** 39). وما يتغير فقط هو أسماء الآلهة في العصر الحديث، والإحساسات الدينية لم تتغير، فالدين قائم على التعصب وعلى التعصب أيضا تقوم الإيزمات (المذاهب الإيديولوجية) الحديثة.

## 5.الطابع المحافظ للجمهور

تسيطر الإحساسات الدينية على الجماهير دائما، أو بالأحرى تسيطر على الأفراد المتجمهرين، وبالتالي لا يمكن أبدا أن يكون الجمهور ثوريا؛ لأنه من طبيعة الدين أن يرفض كل تجديد ويعتبره كهرطقة أو بدعة ف« كل من يعتقد أن الجمهور تهيمن عليه الاندفاعات الثورية إنسان يجهل سيكولوجيا الجماهير» (LeBon، 1963، **صفحة** 27). في واقع الأمر نجد « في الجمهور تهيب لاشعوري لكل تجديد يظهر قادرا على تغيير ظروفهم الواقعية للحياة» (LeBon، 1963، **صفحة** 28). يرى لوبون أن الجماهير محافظة بطبيعتها، وترفض طبيعيا كل رغبة في التغيير، وهذا ما عبر عنه بقوله «المحافظون، الأكثر عنادا، على الأفكار التقليدية والذين يعارضون بعناد شديد تغييرها هم بكل دقة الجماهير، خاصة أصناف الجماهير التي تسمى الطوائف» (LeBon، 1963، **صفحة** 48) فالجماهير محافظة ونكوصية لأنها «لا تتعطش أبدا إلى الحقيقة، تتهرب أمام البديهيات التي تزعجها، وتفضل تأليه الخطأ إذا كان الخطأ يؤثر فيها، من يعرف كيف يوهمها يصبح بكل سهولة سيدا عليها، ومن يحاول تحريرها من الأوهام يصبح لا محالة ضحية لها» (LeBon، 1963، **صفحة** 64). لا يخاطب الزعيم أو الخطيب الذكاء بل يخاطب الأحاسيس؛ لأن الذكاء لا يلعب أي دور في التجمهر. بناء على هذا التصور، من المستحيل تغيير ذهنية الجمهور عن طريق ثورة مزعومة. ولهذا قال لوبون ما يأتي: « ولم يفقه زعماء الجماعات أنها وإن كانت تأتي بالثورة فعلا إلا أنها محافظة بمشاعرها، فقد يسهل تحريك روحها بآراء سياسية يومية، وأما مزاجها النفسي الأساسي فالزمان وحده هو الذي يؤثر فيه» (**لوبون**، 2012، **صفحة** 144). مبدأ الثورة الأساسي هو الحرية، وليس للجماهير تصور صحيح عن الحرية ولا تتوق أبدا إليها، و« ليست الحاجة إلى الحرية التي تهيمن على نفسية الجمهور بل هي دائما الحاجة إلى الخضوع » (LeBon، 1963، **صفحة** 70)، فالجمهور يتعطش إلى الخضوع، ويتعطش الفرد المنعزل إلى الحرية. الحرية حركة، والعائق الأكبر أمام حرية الفكر هو التعصب، لهذا لا يمكن للجمهور أن يكون ارتقائيا، الارتقاء ميزة الفرد الذي يشتغل في عزلة، بعيدا عن التعصب والتجمهر.

## 6.التأثير في الجمهور

إذا كان الجمهور محافظا، وسنده التقليد والنكوص، يفكر بالخيالات ولا يعرف المعايير المثالية...الخ، فكيف يتم التأثير فيه؟ يجيب لوبون قائلا: «المبالغة، التأكيد، التكرار، عدم محاولة البيان بالاستدلال المنطقي إنما هي عمليات الحجاج الخاصة بالخطباء في التجمعات الشعبية» (LeBon، 1963، **صفحة** 26). يعتمد الخطيب على «التأكيد، التكرار، النفوذ والعدوى الذهنية» (LeBon، 1963، **صفحة** 105)، والعدوى الذهنية هي أهم عنصر يسيطر على نفسية الناس في الجمهور، وكل العناصر الأخرى مقترنة بها. بواسطة العدوى الذهنية انتشرت الأفكار الدينية سابقا أفقيا وعموديا، وانتشرت أيضا بواسطتها الأفكار الايديولوجية المفتقرة إلى المنطق العقلاني. العدوى الذهنية ظاهرة لاشعورية. كما أن العدوى تنتقل من شخص إلى شخص آخر، يمكن أن تشمل أكبر عدد ممكن من أفراد الجمهور في سياق توضيحه لها يقول لوبون ما يلي: «تتألف من العدوى الذهنية ظاهرة نفسية تكون نتيجتها تقبل بعض الآراء والمعتقدات قبولا لا إراديا، وبما أن اللاشعور مصدرها، فإنها تتم من غير أن يشرك فيها أي برهان» (**لوبون، فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 173). وكذلك «العدوى الذهنية هي أمر روحي ينشأ عنه التسليم ببعض الآراء والمعتقدات تسليما غير إرادي، ومصدرها دائرة اللاشعور؛ لذلك لا يؤثر فيها أي دليل أو تأمل. ونشاهد في البشر والحيوانات وخاصة عندما يكونوا في حالة جماعة، وهي من التأثير بحيث تسيطر على التاريخ» (**لوبون، الآراء والمعتقدات** ، 2012، **صفحة** 165).

في عصر لوبون، توجد وسائل لانتشار الآراء والمعتقدات بالعدوى الذهنية، إذ قال: «ولا تسري العدوى الذهنية بتماس الأفراد تماسا مباشرا، بل قد تنتشر بالكتب والجرائد والحوادث البرقية حتى بالإشاعات البسيطة، وكلما زادت وسائل النشر والإذاعة تداخلت العزائم وأثر بعضها في بعض، وعلى هذا الوجه نرتبط كل يوم بمن يحيطون بنا أكثر من ذي قبل وتكتسب الفردية شكلا جماعيا» (**لوبون، الآراء والمعتقدات** ، 2012، **صفحة** 165). في يومنا هذا وصلت وسائل العدوى إلى قمتها تقريبا وهذا بوجود وسائل إعلام أكثر تطورا منها الأنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي، التي بواسطتها يصبح الفرد عرضة للتجمهر أكثر من ذي قبل. كما أن العدوى الذهنية تنتقل من منطقة إلى أخرى ومن قوم إلى آخر بسهولة تامة لما يتعلق الأمر بالأفعال، وضرب لوبون مثلا عن ذلك وهو كالآتي: «الانفجار الثوري عام 1848، بدأ بباريس، ثم امتد فجأة إلى الجزء الأكبر من أوروبا وزعزع عدة مملكات» (LeBon، 1963، **صفحة** 73). هذا يذكرنا بثورات الربيع العربي التي حدثت عام 2011 بدأت بتونس وبغتة انتقلت إلى كثير من البلدان العربية بواسطة

هذه العدوى الذهنية.

في نظر لوبون، تعتمد العدوى دائما على النفوذ prestige وهو نوع من الولاية الروحية التي يقدر من خلالها الزعيم أو مذهب معين على السيطرة على شعور ولاشعور الناس. أشار لوبون إلى ذلك قائلا « إذا كانت الآراء التي تنتشر بالتأكيد، التكرار والعدوى تملك قوة كبيرة فلأنها تنتهي باكتساب تلك القدرة الغامضة التي تسمى النفوذ» (LeBon، 1963، **صفحة** 75). وعرف مؤلفنا النفوذ كالآتي: «النفوذ هو في الواقع نوع من السحر الذي يمارسه على روحنا فرد، إنجاز أو مذهب. هذا السحر يشل كل ملكاتنا النقدية ويملأ أنفسنا بالإعجاب والاحترام» (LeBon، 1963، **صفحة** 76) ثم أضاف: «خاصية النفوذ أن يمنع رؤية الأشياء كما كانت وأن يشل أحكامنا» (LeBon، 1963، **صفحة** 77). النفوذ هو ما يسمى السلطة الروحية، بالرغم أن لوبون لم يستعمل هذه العبارة الأخيرة. لاحظنا أيضا أن لوبون أقرن النفوذ بالتنويم المغناطيسي الذي ينتج عنه الإيحاء؛ في حالة التنويم المغناطيسي والإيحاء يمكن للشخص المنوَم أن يتناول حبة بطاطا ويتوهم أنه يأكل الإجاص أو اللحم حسب إرادة الذي يمارس التنويم. وهذا ما عبر عنه فرويد بقوله « عندما نخضع شخصا، بصحة جيدة، إلى تنويم مغناطيسي عميق ونأمره أثناء ذلك بعض حبة من البطاطس ونخبره بأنها إجاصة، أو عندما نقنعه بأنه يرى شخصا يعرفه ينبغي أن يلقي التحية عليه، سوف نتبين بسهولة إذعانا كاملا لأن الشخص المنوَم لا يملك أي مبرر جدي ليعارض فعل الإيحاء» (**Freud S.، résultats, idées, problemes، 1985**، صفحة 21) لا تختلف هذه الطريقة التي يستعملها الطبيب أو السيكولوجي اللذان يمارسان التنويم المغناطيسي عن الطريقة التي يستعملها الزعيم في إيحاء الجماهير. إلا أن هناك فرق بينها، حيث يتعرض الزعيم نفسه لعملية الإيحاء لأنه يتأثر هو أيضا بهيجان الجماهير، وكذلك يتأثر بالفكرة التي يسعى من أجل نشرها؛ لأن الفكرة الإكراهية obsessionnelle أو الوهمية illusoire، التي يسعى إلى ترويجها، تؤدي دورا كبيرا في إيحاء الجمهور وقائد الجمهور؛ أما الطبيب، في حالة ممارسة التنويم المغناطيسي، فلا يخضع للتأثر بل يسيطر بصفة كلية على الوضع. ولقد وعرف ج. بروير الإيحائية كما يأتي: « ما هو المعنى الذي نعطيه لكلمة الإيحائية؟ إذن، إنها تدل على انعدام النقد (الحكم) تجاه التمثلات ومركبات التمثلات التي تبرز في الشعور أو التي أدخلت إلى الشعور من الخارج بواسطة سماع خطاب أو بواسطة قراءات» (Breuer، 2007، **صفحة** 193) ومع اختراع فرويد لتقنية التداعي الحر تغيرت العلاقة بين المصاب والطبيب (المحلل النفساني) إذ لم يعد لعنصر الإيحائية أي دور، وحل محله عنصر النقل transfert وهو حالة نفسية تجعل المصاب مولعا بالمحلل l'analyste، وهناك أيضا النقل المضاد le contre transfert الذي يعبر عن الحالة النفسية للمحلل الذي يتأثر بدوره بالمصاب.

أدخل لوبون عنصر التنويم المغناطيسي إلى سيكولوجيا الجماهير، كما أدخل الحالة التي تنتج عنه وتتمثل في الإيحاء؛ ويبدو أن جزءا كبيرا من أصالته يكمن في هذه الإضافة. في هذا السياق أردف لوبون قائلا: «العدد القليل من الشخوص الذين يملكون النفوذ يمارسون السحر بطريقة مغناطيسية على من حولهم، بما فيهم المتساوين معهم» (LeBon، 1963، **صفحة** 77). قلنا أن ما ينتج عن التنويم المغناطيسي هو الإيحاء، وفي نظر لوبون يكون الإيحاء دائما متبادلا بين أفراد الجمهور؛ والزعيم الذي يمارس التنويم المغناطيسي هو نفسه منوَم، وفي بعض الحالات يخضع للتنويم أكثر من أفراد جمهوره.

اعتبر فرويد الزعيم le meneur شخصية نرجسية، بينما اعتبره [الزعيم] لوبون شخصية عُصابية شبه مسلوبة. لكن النرجسية والعُصاب حالتان نفسيتان غير عاديتين تعودان إلى إشكالية واحدة. إذن النفوذ لا يفرض أن يكون صاحبه ذكيا أو مثقفا بل قد يكون غبيا، وقد يتعايش الغباء والمكر بصفة عادية في ذهنية الإنسان، كما أن الذكاء يمكن أن يتعايش مع الغفلة في الإنسان. لا ينتقل الذكاء بالعدوى الذهنية، ولا تنتقل الآراء والمعتقدات بالذكاء بل تنتقل بالمكر والدهاء، وقال لوبون في هذا الصدد: « فلنذكر الذكاء الذي يختلف باختلاف الأشخاص ولا ينتقل بالعدوى الذهنية لا يكون ذا شكل جماعي أصلا، وأما الأشخاص الذين ينتسبون إلى عرق واحد فهم ذوو أحاسيس متجانسة لا تلبث أن تتحد عندما يصبحون جماعة» (**لوبون، الآراء والمعتقدات**، 2012، **صفحة** 46)

لكن يجب أن ننتبه إلى أن الجماهير التي وصفها لوبون هي الجماهير السيكولوجية، ويعني بها الجماهير الطبيعية أو التلقائية. وفي نظر فرويد الجماهير التلقائية إنما هي إعادة بعث الأرهاط الأصلية les hordes originaires، وتعبر عن حالة النكوص الجماعي. عبارة الأرهاط الأصلية استعملها شارل داروين للتعبير عن الجماعات البدائية، وعبر عنها فيكو بحد لاتيني آخر Famulis. قال فرويد في هذا الصدد: «سيكولوجيا الجمهور كما نعرفها وحسب الأوصاف المذكورة عادة تتمثل فيما يأتي: فقدان الشخصية الشعورية، توجيه الأفكار والأحاسيس في اتجاهات متطابقة؛ غلبة الحالة العاطفية والنفسية اللاشعورية، الميل إلى التحقيق الفوري للخطط القائمة، كل هذا يتوافق مع حالة النكوص إلى مستوى النفسية البدائية، وهذا ما نستطيع أيضا أن نثبته أيضا لما يتعلق الأمر بالرهط الأصلي» (**Freud S.، Psychologie des foules et analyse du moi، 2012**، **صفحة 45**) هذا ما سماه فرويد ضمنيا في كتابه موسى والتوحيد عودة المكبوت الجماعي. في هذه الفقرة أشار فرويد إلى عودة المكبوت الفيلوجيني في الجماهير السيكولوجية التي حللها لوبون.

في نظر فرويد هناك جماهير من نوع آخر وسماها الجماهير الاصطناعية المنظمة بصفة عالية، ولا تخضع للسلبيات التي وصف بها لوبون الجماهير، قال فرويد في هذا السياق: «لكن

الجمهور عندما نعتبره ككل يظهر لنا أكثر ضعف المردود العقلي ورفع الكف عن العاطفة، عدم القدرة على الاعتدال والمغالطة، الميل إلى تجاوز كل الحدود في التعبير عن الحواس وإفراغها الكلي في الفعل، هذه الأشياء وكل الأشياء المماثلة التي عبر عنها لوبون برسم انطباعي، تعطي صورة أكيدة عن نكوص النشاط النفسي إلى المستوى السابق، تماما مثل الصورة التي نراها دون دهشة، لدى المتوحشين والأطفال. ذلك النكوص ملازم، بصفة خاصة، لطبيعة الجماهير العادية، بينما كما سبق أن رأينا، يمكن تفادي هذا النكوص، بقدر أوسع، لما يتعلق الأمر بالجماهير الاصطناعية المنظمة بصفة عالية» (Freud S.، Psychologie des foules et analyse du moi، 2012، صفحة 101). ما سماه فرويد بالجماهير العادية إنما هي الجماهير التي اهتم بها لوبون، وهي، بتعبير آخر، الجماهير التلقائية أو الطبيعية أو السيكولوجية. أضاف فرويد نوع آخر وهو الجماهير الاصطناعية. قدم فرويد، لتعزيز أطروحته، مثالي الكنيسة والجيش، حيث أضاف قائلا: «المثالان المهمان لتلك التشكيلات الاصطناعية الثابتة والمنظمة بصفة عالية هما الكنيسة أمة المؤمنين، والجيش كجمهور عسكري. الكنيسة والجيش جمهوران اصطناعيان بمعنى أن إكراها خارجيا وضع موضع التنفيذ من أجل أن ينقذهما من التفكك، ويتفادى التغييرات بخصوص بنيتهما» (Freud S.، Psychologie des foules et analyse du moi، 2012، صفحة 102). يبدو أن هناك سوء فهم بين فرويد ولوبون، لأن الإكراه الخارجي الذي أشار إليه فرويد غير غائب في مؤلف لوبون. مؤلف سيكولوجيا الجماهير ملحد ومعادي للدين، الكنيسة في نظره قدوة كل الجماهير؛ ولم يميز بين الجماهير التلقائية والجماهير الاصطناعية، حتى الجماهير التلقائية بإمكانها أن تكون منظمة مثل الجماهير الاصطناعية التي تحدث عنها فرويد. وأحسن مثال على ذلك الجماهير الشيوعية المقتدية بالتنظيم الديني. تحليل لوبون سيكو-سياسي، بينما بدا لنا فرويد بعيدا عن الاعتبارات السياسية. اهتم لوبون بإشكالية جمهرة النفوس المهددة لاستقلالية الوعي الفردي؛ نجد هذه الجمهرة معززة أكثر في الجيش والكنيسة. رأى لوبون في ظهور التنظيمات الشيوعية إعادة بعث للبربرية الأولى، باعتبارها جماهير تلقائية. يجب أن نشير هنا إلى أن كارل ماركس رأى أن الثورة الشيوعية لا بد أن تقوم على الجماهير التلقائية، وهذه الجماهير التلقائية منظمة. وعبر عن ذلك في كتابه بيان الحزب الشيوعي، الذي ألفه مع فريدريك إنجلز، حيث قال: « إلى حد الآن، كل الحركات التاريخية كانت منجزة من طرف الأقليات أو لصالح الأقليات. الحركة البروليتارية إنما هي حركة تلقائية للأكثرية الكبرى لصالح الأكثرية الكبرى. البروليتاريا كطبقة دنيا للمجتمع الحالي، لا يستطيع أن ينتفض دون هدم كل البنية الفوقية للطبقات التي تؤسس المجتمع الرسمي» (Marx، 1967، صفحة 49، 50). حد الأكثرية التي تحدث عنها ماركس هنا لا يختلف عن حد الجماهير les foules الذي اعتمده لوبون.

## 7.ارتقاء الحضارات

إذا كانت الجماهير، كما رأينا، محافظة تقليدية فكيف يحصل الارتقاء؟ يجيب لوبون قائلا: « ولا تتقدم الحضارات بالجماهير التي هي لعب تسيرها الغرائز، بل بصفوة الرجال التي تفكر لأجل الجموع وتقودها. ولم يفعل الساسة بمحاولتهم تسخير المنطق العقلاني لمنطق الجماهير كي يبرر اندفاعاته سوى فوضى عميقة» (**لوبون، الآراء والمعتقدات**، 2012، **صفحة** 106). لا يجب على الجمهور أن يهيمن أو يقود بل يجب عليه أن يكون مقادا وإلا سيرجع بالأمة إلى الهمجية والفوضى؛ لأن « التاريخ يعلم أن في كل حال فقدان القوى الأخلاقية للمجتمع، تأتي الحلول النهائية التي ننسبها إلى تلك الحشود اللاشعورية والمتوحشة والموصوفة بالبربرية. حتى الآن الحضارات تقودها ثلة أرستقراطية فكرية، ولم تقودها الجماهير أبدا، هذه الأخيرة لا تملك القوة إلا من أجل الهدم» (LeBon، 1963، **صفحة** 4). الجمهور غير قابل للتثقيف بينما « تستلزم الحضارة قواعدا ثابتة، نظاما معينا، الانتقال من الغريزي إلى العقلاني، التنبؤ بالحاضر، درجة راقية من الثقافة، هذه الشروط تبقى غير قابلة للمرور داخل الجمهور» (LeBon، 1963، **صفحة** 4). في نظر لوبون التثقيف خاصية الأفراد المنعزلين، ولما ينصهروا داخل الجمهور، هذا التثقيف يصاب بالكف، حيث قال لوبون: « وصفوة الناس القليلة هي وحدها ذات آراء شخصية في بعض الأحيان وإلى هذه الصفوة العالية يعود فضل الإتيان بمبتكرات الحضارة» (**لوبون، الآراء والمعتقدات** ، 2012، **صفحة** 189).

لكن الجماهير لها دور في صناعة التاريخ، لكن هذا الدور كثيرا ما يكون سلبيا على الحضارة، وهذا ما جعل التاريخ يسير نحو الارتقاء ببطء شديد؛ لأن أحداث النكوص تتخلل عجلاته وتعيق ارتقاءه. رأى لوبون أن «المخترعين يستطيعون أن يغيروا الحضارة مع الزمن، وأن المتعصبين وحدهم، وهم ذوي الذكاء المحدود، ولكن مع أخلاق فعالة وشهوات قوية، هم الذين يقدرون على تأسيس الأديان وقلب العالم وإقامة الدول» (**لوبون، السنن التفسية لتطور الأمم**، 2012، **صفحة** 121)، ثم أضاف « فالحق أن العباقرة المخترعين يعجلون سير الحضارة وأن المتعصبين والمتهوسين هم الذين يخلقون التاريخ» (**لوبون، السنن التفسية لتطور الأمم**، 2012، **صفحة** 121). نفهم من خلال هذا الطرح أن التصادم بين العبقرية والسذاجة يعيق سير الحضارة، وسبب فناء الحضارات هم رجال الفعل السياسي الذين يقودون الدول، لأنه «لا يصدر التقدم من الدولة، بل عن ارتقاء الفرد باستمرار» (**لوبون، فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 151).

بناء على ما سبق، يمكننا أن نتساءل على النحو الآتي: هل يبقى المسار التاريخي مسيطرا عليه دائما من طرف الجماهير الساذجة؟. يجيب لوبون بشيء من التشاؤم الأنتروبولوجي: « ويسيطر على تاريخ الأمم ما بين اندفاعات الحياة العاطفية اللاشعورية ومؤثرات الحياة العقلية من صراع. فمن الحياة

العقلية تنفجر عجائب العلم التي تعين تقدم الحضارة. ومن الحياة الغريزية تولد الشهوات وجميع المنازعات التي تزعج حياة الأمم. وسيبقى الأمر لا ريب هكذا حتى اليوم الذي تتخلص فيه الإنسانية من الحياة اللاشعورية الوراثية فتبلغ من التطور الكافي ما يكون العقل معه مسيطرا، ولم نبلغ هذه المرحلة بعد» (**لوبون، فلسفة التاريخ**، 2012، **صفحة** 26). في نظر لوبون نصل إلى الحل والسلم لما ينتصر المنطق الفلسفي على المنطق الساذج. يبدو أن هذا قد تحقق الآن نسبيا في البلدان العلمانية الراقية ولم يتحقق في البلدان التقليدية المتخلفة.

## خاتمة

بعد هذا العرض:

نستنتج أولا أن لوبون متشائم تشاؤما أنتروبولوجيا، متشائم حول الإنسان وحول التاريخ. شخص المشاكل والأعراض المرضية الاجتماعية (العصاب الجماعي) ولم يقدم حلولا. لوبون فيلسوف تأثر فكريا بالحالة السياسية والاجتماعية والأخلاقية والفكرية التي سادت عصره، فأسقط ملاحظاته على التاريخ والمستقبل. لكنه منذ عام 1895 تنبأ بحدوث الكارثتين المدنيتين اللتين حلتا بأوروبا في القرن العشرين. تنبأ بذلك في حين اعتقد بعض المفكرين والفلاسفة (منهم فرويد) أن الليبرالية السياسية تعد قمة الحضارة الإنسانية إذ حررت الإنسان من قيود العصور الوسطى اللاهوتية. كما اعتقد الكثير بأن الثورة الفرنسية فكت كثيرا من القيود عن الفكر والسياسة والاقتصاد والدين. واعتقدوا أيضا أن ثورة الإصلاح الديني حررت الإنسان من عسف الكنيسة الكاثوليكية. لقد رأى لوبون عكس ما رآه أولائك تماما، ففي نظره الثورة الفرنسية قادها المجرمون والحاقدون والمتعصبون؛ وما كان مارتن لوثر، في نظره، إلا شخصا عصابيا متهوسا.

نستنتج ثانيا أن لوبون فيلسوف متطرف في الدفاع عن الفردانية البورجوازية. وبدا جليا أنه شديد التأثر بشارل داروين وهربت سبنسر، حيث كان يعتقد بأن الحضارة تسير دائما نحو التفاوت ويعتبر المساواة نكوصا إلى العصور البربرية، وأن الشعوب التي تسود فيها المساواة شعوب بدائية.

نستنتج ثالثا وأخيرا أن لوبون طور انتروبولوجيا ثقافوية مبنية على تفاوت الأقوام، عكس الانتروبولوجيا الإنسانية التي طورها التحليل النفسي والسكولوجيا التحليلية. فبخلاف فرويد ويونغ، رأى لوبون أن الأقوام تختلف فيما بينها باللاشعور؛ لأن اللاشعور الذي اعتمده ثقافوي في الغالب، بمعنى أن لكل قوم لاشعور وراثي خاص به. بينما رأى فرويد ويونغ أن جانبا من اللاشعور الجماعي إرث كل الإنسانية.

في اعتقادنا، لا تختلف الذهنيات الجماعية في أوروبا في عصر لوبون، والتي أدت فيما بعد إلى نشوب الحربين العالميتين الأولى والثانية، عن الذهنيات الجماعية اليوم في العالم الإسلامي ولاسيما العالم العربي. أمام النفسية الجماعية، التي هي لاشعورية في القدر الأكبر منها، يبدو الفرد المنعزل ذو ثقافة عالية عاجزا عن التحكم فيها أو توجيهها. وما كانت الحروب الأهلية في كل العصور إلا تخارجا خطيرا للنفسية الجماعية التي تعتبر نكوصا إلى العصور البربرية، ليس فقط في نظر لوبون بل أيضا في نظر فرويد ويونغ. النفسية الجماعية اللاشعورية موجودة بصفة ضمنية أيضا في مقدمة ابن خلدون، حيث أن العصبية تخضع دائما لهذا القانون السيكولوجي (اللاشعور الجماعي). نختم هذا البحث بمقولة مهمة لابن خلدون في المقدمة: «فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محقا قصر به الانفراد عن العصبية، فطاح في هوة الهلاك» (**ابن خلدون**، 2004، **صفحة** 161). انتروبلوجية ابن خلدون ثقافوية مثل انتروبلوجيا لوبون. لكن ابن خلدون كان يتحدث عن العصبية، ولوبون كان يتحدث عن الطوائف أو التنظيمات المتعصبة؛ في نظرنا، هذان العنصران متوفران الآن في بعض البلدان العربية التي بدأت تلتهب منذ 2011 وما زالت تلتهب إلى اليوم بفعل تأثير النفسيات الجماعية اللاشعورية.

## تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

## قائمة المصادر والمراجع

### باللغة العربية


1. غوستاف لوبون.(2012). فلسفة التاريخ، ترجمة عادل زعيتر، ط1: القاهرة، دار العلم العربي.

2. غوستاف لوبون.(2012). الآراء والمعتقدات، ترجمة عادل زعيتر، ط1: القاهرة، دار العلم العربي.

3. غوستاف لوبون.(2012). السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتر، ط1: القاهرة، دار العلم العربي.

4. عبد الرحمن ابن خلدون.(2004). المقدمة. بيروت لبنان. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.


### باللغة الأجنبية


1. Gustave Le Bon. (1963). Psychologie des foules. Paris Editions. P. U. F.

2. Sigmund Freud. (2012). Psychologie des foules et analyse du moi. Trad. par Pierre Colet, André Bourguignon et autres. Paris. Editions Petite bibliothèque Payot & Rivage

3. Sigmund Freud &Joseph Breuer.(2007). Etudes sur l'hystérie. Trad. Par Anne Berman. Paris. Editions P. U. F.

4. Sigmund Freud.(2010) L'interprétation du rêve. Trad. par Jean – pierre Lefebvre. Paris. Editions Seuil.

5. Sigmund Freud. (1985). Le traitement psychique (le traitement de l'âme). In Résultats, Idées, Problèmes. Trad. par Janine Altouniau, Anne Balseinte, André Bourguignon et autres. Tome 1. Ed 1. Editions P.U.F

6. Giambattista Vico.(2001). La science nouvelle, Trad. par Alain Pons. Paris. Editions Librairie Athène Fayard.

7. Carl Gustav Jung. (2013) la dialectique du moi et de l'inconscient. Trad. par Roland Cohen. Paris. Editions Gallimard.

8. Carl Gustav Jung. (2013) Essais d'exploration de l'inconscient, Trad. par Laure Deutschmeister. France. Editions Folio / essais.

9. Carl Gustav Jung. (1971). Les racines de la conscience.Ttrad. par Yves Le Lay.. Paris : Ed. Buchet / Caste.

10. karl Marx & Friedrich Engels .(1967) . le manifeste du parti communiste. Trad. Michèle Tailleur. Paris: Eds. Sociales.

## كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

المؤلف منصر محند شريف (2021)، فلسفة غوستاف لوبون السياسية والتاريخية، وأبعادها السيكولوجية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد13، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص،ص:295-306